

الإيمان باليوم الآخر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. قال المؤلف -رحمه الله تعالى- "وأنا لله -سبحانه- ضاعف لعباده المؤمنين الحسنات، وصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات، وغفر لهم الصغائر باجتنب الكبائر، وجعل من لم يتب من الكبائر صائرا إلى مشيئته: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ مَا يُشْرِكُ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ } ومن عاقبه بناؤه أخرجه منها بإيمانه فادخله به جنته: { قَمَرٌ يَعْقَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ } ويخرج منها بشفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- من شفيع له من أهل الكبائر من أمته، وأن الله -سبحانه- قد خلق الجنة؛ فأعد لها دار خلود لأولياؤه، وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم، وهي التي أهبط منها آدم نبيه وخليفته إلى أرضه، بما سبق في سابق علمه، وخلق النار؛ فأعد لها دار خلود لمن كفر به، وألحد في آياته وكتبه ورسله، وجعلهم محجوبين عن رؤيته، وأن الله -تبارك وتعالى- يحيي يوم القيامة والملك صفا صفا، لعرض الأمم، وحسابها وعقوبتها ونوابها، وتوضع الموازين لوزن أعمال العباد: { قَمَرٌ تَقْلُكُ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } ويؤتون صحتهم بأعمالهم { قَالًا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابًا يَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا } ومن أوتي كتابه وراء ظهره فأولئك يصلون سعيرا، وأن الصراط حق يجوزه العباد بقدر أعمالهم؛ فنجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم، وقوم أوقفهم فيها أعمالهم، والإيمان بحوض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فرض ترده أمته، لا يظما من شرب منه، ويذاد عنه من بدل وغير. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. وصلّى الله وسلم على أشرف المرسلين؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. هذا الكلام تفصيل لما ورد في اليوم الآخر؛ وذكر الأعمال الصالحة، ومن يغفر الله -تعالى- له، ومن لا يغفر له، والجنة والنار، ورؤية الله -تعالى- ومجيئه يوم القيامة، ووزن الأعمال، وتطهير الصحف، ونصب الصراط، والإيمان بالحوض، هذه تفاصيل لليوم الآخر؛ وذلك لأن الإيمان باليوم الآخر ينتج منه الاستعداد له، فإن من آمن بالله -تعالى- عبده حق عبادته، ومن آمن باليوم الآخر عمل لنجاته. وإذا ضعف الإيمان بالله؛ ضعف حظ العبد من عبادته، وإذا ضعف الإيمان باليوم الآخر؛ ضعف الاستعداد له، ولأجل ذلك يرد كثيرا الاقتصار على ركنين من أركان الإيمان - الإيمان بالله واليوم الآخر؛ مثل قوله -صلى الله عليه وسلم- { من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليقل خيرا أو ليصمت. } لم يذكر إلا الإيمان بالله واليوم الآخر؛ لأنهما ركنان جامعان؛ لأن من آمن بالله آمن برسله وأمن بكتبه، وأمن بقضائه وقدره، وكذلك من آمن باليوم الآخر؛ آمن بما يكون فيه من الحساب والجزاء على الأعمال؛ فلأجل ذلك أكثر الله في القرآن من ذكر الإيمان باليوم الآخر؛ وذلك لأن الكفار المشركين ينكرون اليوم الآخر، ويقولون: { إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا تَمُوتُ وَتَحْيَا } في نظرهم أنه ليس هناك إلا هذه الدنيا، وليس بعدها دار أخرى، وأنه يموت قوم ويحيا آخرون، وهذا أيضا تعتقده الفلاسفة -الفلاسفة الدهريون والفلاسفة الإلهيون- ويعتقد ذلك في زماننا من يسمون بالشويعيين؛ فإنهم لا يؤمنون بالدار الآخرة، يقولون كما يقول الأولون: { مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا تَمُوتُ وَتَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ } ويقولون: { هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا تَمُوتُ وَتَحْيَا وَمَا تَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ } . أي: يموت الأولون، يموت الآباء ويخلفهم الأبناء، وكذلك يقولون: إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلى، ولما كانوا كذلك؛ أكد الله -تعالى- أمر البعث بعد الموت، وأقام عليه الأدلة، وضرب له الأمثال؛ مثل قوله -تعالى- في آخر سورة "يس" قال الله تعالى: { أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْقَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ } . يذكره الله -تعالى- بمبدأ خلقه { خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْقَةٍ } أي: مبدأ خلقه { فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ } خصيم لمن؟ خصيم لربه، وخصيم لرسول الله، { وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَتَسَبَّى خَلْقَهُ } نسي بدأ خلقه { وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَتَسَبَّى خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُخَيِّبِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ } ذكروا أن أحد المشركين جاء بعظم وجعل يفته -عظما قد بلى- وجعل يفته حتى صار ترابا، وقال: أتزعم يا محمد أن هذا قد يحيى، أن هذا العظم قد يعود كما كان بعد أن صار ترابا، { مَنْ يُخَيِّبِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ } . أجابه الله بهذه الحجج: الحجة الأولى: { قُلْ يُخَيِّبُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ } الذي أنشأ خلق الإنسان، بدأ خلقه من سلالة من طين، ثم جعل نسله من نطفة، جعل نسله من سلالة من ماء مهين، أي: من هذا المني الذي يقذف في الرحم، ويتكون منه خلقه، الذي بدأ خلقها، الذي أحياها. { قُلْ يُخَيِّبُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ } . الحجة الثانية: { وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ } الله -تعالى- عالم برفات خلق الإنسان، وعالم بقايا جسده، وعالم بحبات عظامه إذا كانت ترابا { وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ } فأجبت عليهم في مبدأ خلقهم وبإعادته، وبأنه -سبحانه وتعالى- بكل خلق عليم. ثم احتج بعد ذلك بحجة ثالثة: وهي قوله: { أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقَادِرَ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ } ويقول الله -سبحانه وتعالى- في { كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى } لما ذكر أنه أحيا الأرض بعد موتها، ويقول تعالى: { الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ تَرَابًا } يعني: كانوا يقطعون عصيين من شجرة خضراء، ويحكون أحدهما في الآخر، وتنفخ منه شرار، وبوقدون منها نارا { الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ تَرَابًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } . يقول تعالى: { لَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ } . { أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقَادِرَ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ } إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } . فهذه أدلة في هذه الآية، وفي غيرها مثل قوله تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَشْتَرُونَ } يعني: بدأ خلقكم من تراب، وبشكم وانتشروا { إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَشْتَرُونَ } دليل على أنه ابتداء خلقكم كذلك، جاء في حديث.. أن رجلا سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- { كيف يحيينا ربنا بعد أن كنا ترابا؟ فقال: ألا أدلك على آية؟ أما مررت بأرض يابسة قاحلة بيضاء؟ قال: بلى. قال: ثم مررت عليها بعد ذلك وقد نزل عليها المطر وهي تهتز خضراء. قال: بلى. قال: فكذلك يحيي الله الموتى } . يقول الله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَقَ سَحَابًا نَقَلْنَا مِنْهَا مَائِدَةً فَاتْرَافُ بِهَا الْمَاءَ فَأَخْرِجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى } يعني: هذه آية من آيات الله، الأرض الميتة إذا نزل عليها الماء بنتت كل هذه النباتات، هذه آية من آيات الله، { كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } . لا شك أن هذه دليل على أنه أقام البيئة على إحياء الموتى، وقطع الشبهات، وقطع الشبهات، وقد وقعت لذلك أمثلة في الدنيا- أمثلة كثيرة- منها في سورة "البقرة" قول الله تعالى: { وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَى إِنَّهُ لَمِنْ قَوْمِي لَبِئْسَ مَا تَدْعُو لَو شِئْتَ لَوِ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَآيَاتِي } ؛ لما أنهم صعدوا وماتوا، لما أنهم سمعوا كلام الله قالوا بعد ذلك: { لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهُ جَهَنَّمَ فَخَدَّكُمْ الصَّاعِقَةُ } فماتوا. قال تعالى: { ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ } { فَهَلْآءِ قَدِمْنَا بَقَدْمَاتِنَا أَنْ نَتَّبِعَهُمْ } ؛ فلما ذبحوها؛ أخذ منها جزءا وضرب به ذلك الميت فحيي، قال تعالى: { فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِعَصَاهُ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى } عاش بعد أن كان ميتا قالوا: من قتلنا؟ قال: قتلني ابن أخي هذا، ثم عاد ميتا. كذلك قصة ثالثة: قال الله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ } ذكروا أنهم خرجوا حذر الطاعون، ولما خرجوا أماتهم الله، { حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ } آية من آيات الله. قصة رابعة: قصة الذي { مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ } مات وفيه، مائة سنة ثم بعد ذلك بعثه الله، وبعث حمارة الذي كان معه، فقال الله: { فَأَنْظِرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْتَنَّه } كان معه طعام لم يتغير { وَأَنْظِرْ إِلَى جَمَارِكَ } كان قد تفرق وصار أجزاء وأشلاء { وَأَنْظِرْ إِلَى جَمَارِكَ وَتَلَجَّعَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ تُنْشِرُهَا ثُمَّ تَكْسُوهَا لَحْمًا } تجمعت عظام الحمار واحدا بعد واحد، ثم بعد ذلك نبت عليه جلده، ثم بعد ذلك تكاملت أعضاؤه، ثم نفخ الله -تعالى- فيه الروح ثم قام، { كَيْفَ تُنْشِرُهَا ثُمَّ تَكْسُوهَا لَحْمًا } . قصة خامسة: قصة إبراهيم لما قال: { رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى } لم يكن ذلك شكاً منه؛ ولكن ليطمئن قلبه، أخذ أربعة من الطير، الله أعلم بأسمائها، وفرقها، فجعل رأس هذا هنا، ورجله هنا، وجناحه هنا، وجسده هنا، قطعه قطعاً وفرقها، وجعلها على رؤوس الجبال، ثم جعل على كل جبل منهن جزءاً وأمسك رؤوسهن، فدعاهن فجاء كل شلو أو كل قطعة حتى تلاءمت وصارت طيراً كاملاً، وطرح إليه رأسه فالتأم رأسه، فعاد بإذن الله حياً. هذه آيات من آيات الله، يعني: أنه أحياهم في الدنيا، فعلى هذا نقول: إن الله -سبحانه وتعالى- يحيي الموتى، يحيي الأموات بعد أن كانوا تراباً ورفاتا وعظاماً وأشلاء، فإنما { أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } ؛ فلذلك قال المؤلف هاهنا: " وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من يموت كما بدأهم يعيدون" يبعث من يموت من أهل القبور، كما بدأهم يعيدون أخذاً من الآية الكريمة { كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ } في سورة الأعراف، ولقوله تعالى: { كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ } ونحو ذلك. وفي يوم القيامة يحاسب الله -تعالى- العباد؛ فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.